... حَنَانٌ لا مثيلَ له!!...

وبعد أن حاصر الرسول ﷺ أهل خيبر ، جاؤوا يفاوضونه :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أتىٰ رسول الله ﷺ أهل خيبر عند الفجر فقاتلهم حتىٰ ألجأهم إلىٰ قصرهم وغلبهم علىٰ الأرض والنخل ، فصالحهم علىٰ أن يحقن دماءهم ولهم ما حملت ركابهم ، وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والحَلقَةُ ـ وهو السّلاح ـ ويُخرجهم ، وشرطوا للنبي ﷺ أن لا يكتموه شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمّة لهم ولا عهد[1].

لكن ، وكعادة اليهود ، فقد نقضوا العهد ، وأخفوا كنزاً كان عندهم لبني النضير ، ولما سألهم النبي ﷺ علىٰ ذلك ، جحدوا معرفة مكانه!!

فأعلن الرسول ﷺ الحرب عليهم ، فجاء كبارهم ووجهاؤهم يتذللون بين يديه ، من أجل أن لا يُخرجهم ، واقترحوا عليه أن يقوموا بالعمل كله مقابل نصف الثمر ، فقال صلوات الله عليه : «أُقرّكم فيها علىٰ ذلك ما شئنا»[2].

ثم افتتح المسلمون حصن بني أبي الحُقيق ، فجيء بصفيّة ابنة حُييّ بن أخطب وبأخرىٰ معها سبايا ، ولما علم أن عروس صفية ـ وهو ابن أبي الحقيق ـ قد قُتل ، قال: «أدخلوا عليّ صفية».

فأدخلوها ، فقال لها: «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوةً حتىٰ قتله

---

(١) سنن أبي داود: ٣/ ٤٠٨.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ١١٨٧.

الله» ، فقالت: يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

فقال لها ﷺ: «اختاري ، فإن اخترتِ الإسلام أمسكتكِ لنفسي ، وإن اخترتِ اليهودية فعسىٰ أن أُعتقكِ فتلحقي بقومك».

فقالت: يا رسول الله، لقد هويتُ الإسلام ، وصدّقتُ بك قبل أن تدعوني حيث صرتُ إلىٰ رَحْلِكَ ، وما لي في اليهودية وما لي فيها والدٌ ولا أخٌ ، خيّرتني الكفر والإسلام ، فاللهُ ورسوله أحبُّ إليّ من العتق وأن أرجع إلىٰ قومي.

قال: فأمسكها ﷺ لنفسه ، وأصبحت إحدىٰ أمهات المؤمنين[1].

سلامٌ عليك يا روح الوجود يا رسول الله!

أيّ حنانٍ هذا الذي أظهرته أمام تلكم المرأة التي قُتل زوجها ، وقتل أبوها ، وأصبحت مع السّبايا ، لكنها أعلنت إسلامها ، فما كان منك إلا أن اتخذتها زوجة ، وهذا من صميم الأخلاق الحميدة:

بكتاب الزّبور نَعْتُكَ يُتلىٰ ... وبلوح التوراة وصْفك يملىٰ
وبنصّ الإنجيل قد صحّ نقلاً ... ما مضت فترة من الرسل إلاّ
بشّرت قومها بك الأنبياءُ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٨/ ١٢٣.